بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثالث والثلاثون

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

يقول الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب في كتاب [التوحيد الذي هو حق الله على العبيد] قال:

باب

قول الله تعالى: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }

وقوله : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }

وقوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ }

وعن أبي سعيد -رضي الله عنه- مرفوعا : " إن من ضعف اليقين أن ترض الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره "

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال : " من التمس رضا الله بسخط الناس - رضي الله عنه - وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس "رواه ابن حبان في صحيحه .

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الشيخ – رحمه الله – قد شرع بجملة من الأبواب المتعلقة بعبادات القلوب فابتدأها كما قرأنا يوم أمس بباب الحب وهذا الباب يتعلق بالخوف ويليه باب يتعلق بالتوكل وهكذا

وهذا لتعلق العبادات القلبية بأمر التوحيد تعلقا وثيقا فعقد الشيخ الإمام – رحمه الله – هذا الباب:

باب قول الله تعالى: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين)

◈ **إذن مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة:**

لأن الخوف عبادة من العبادات لا يجوز صرفها لغير الله – عز وجل – فمن خاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة

-

وقوله "إنما" أداة حصر،

"إنما ذلكم الشيطان" المشار إليه الشيطان وهو علم على جنسه هو علم على إبليس الذي لعنه الله، وهو مأخوذ من الشطن وهو البعد لأنه بعد عن طاعة الله وعن رحمته، (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)

معنى "يخوف أولياءه" بإجماع المفسرين أي يخوفكم بأوليائه، وهذه طريقة شيطانية معروفة معهودة مشهورة وهو أن الشيطان يلقي في قلوب المؤمنين الخوف من أوليائه من المشركين ؟ فيرعبهم بهم

ولكن الإيمان يكتسح ذلك فلهذا قال الله تعالى عن أوليائه : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل على المؤمنين إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)

إذن معنى "يخوف أولياءه" أي يخوفكم بأوليائه وذلك بأن يلقي في قلوب المؤمنين الرعب ويصور لهم عدوهم بأنه ذو عدد وعدة وبأس شديد وغير ذلك فهذا يؤثر في ضعاف الإيمان فكما قال ربنا (وفيكم سماعون لهم) فيرجفون، أما أهل الإيمان الثابت الواثق فإنهم يعتصمون بحبل الله

وقد ذكر الله – عز وجل – في سورة الأحزاب تنوع الناس أمام هذه المخاطر فحينما أحيطت المدينة بعشرة آلاف مقاتل كان منهم من يقول للنبي ﷺ (إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) يقول قائلهم لو ذهب أحدنا لقضاء حاجته لم يأمن على نفسه

أما المؤمنون فقد قال الله عنهم (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتثبيتا) فهذا هو الفرق بين أهل الإيمان وبين رقاق الإيمان أو ضعافه أو المنافقين (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم) نهي (وخافون) أمر (إن كنتم مؤمنين) إذن كان ذلك دليلا على أن

الخوف عبادة وأنه شرط في الإيمان الواجب فهذا الباب مناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة، واعلموا – يا رعاكم الله – أن:

◈ **الخوف نوعان:(خوف عبادة وخوف طبيعي)**

- **فأما خوف العبادة**: فهو الذي لا يجوز صرفه لغير الله - عز وجل - وهو أن يخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كأن يخاف جنا أو إنسا في أمور غير مقدورة له ولم تجر العادة بتصرفه فيها كأن يعتقد أن هذا الإنس أو الجن يمرضه أو يدني أجله أو يقطع رزقه أو ما شابه هذا من الأمور المتعلقة بالربوبية فمثل هذا الخوف خوف سر خوف عبادة لا يجوز صرفه لغير الله فمن صرفه لغير الله فقد أشرك الشرك المخرج عن الملة

- وأما النوع الثاني: فهو **الخوف الطبيعي** الذي جبل الله عليه بني آدم وجعله سببا لبقاء نوعهم إذ لولا الخوف لانقطع بنو آدم لأن الخوف مدعاة إلى الاحتراز لولا الخوف من النار لاحترق الإنسان، لولا الخوف من الهلاك عطشا لدخل الناس في البراري والمفاوز ولم يحملوا ماءا وهلكوا لولا الخوف من العدو لما أخذوا للأمر عدته واستعدوا له بالسلاح والحراسة وما أشبه

إذن ثَم نوع طبيعي وهو ما جبل الله تعالى عليه بني آدم وركبه في خلقتهم حتى أن الله تعالى ركب البدن أن إذا خاف ابن آدم أفرز القلب مادة تزيد في ضربات قلبه ليضخ دمه إلى الأعضاء والعضلات فيحتاج إلى الهرب ويحتاج إلى المدافعة وغير ذلك من وظائف الأعضاء وهذه هي حكمة الله البالغة

وقد وقع هذا الخوف لأنبياء الله فإن موسى - عليه السلام - لما أمره الله بإلقاء العصا فانقلبت ثعبانا ولى مدبرا ولم يعقب وقال له ربه ((لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون)) فهذا الخوف خوف طبيعي فلا يلام الإنسان أن يخاف على نفسه من السبع، من العدو، من النار أن تأكله، من الماء أن تغرقه كل هذا مما جرت به العادة

إلا أنه قد يتحول إلى شيء مذموم إذا خرج عن حده فيوقعه في الجبن أو الرهاب كما يقال بلغة العصر فإذا تجاوز حده وخرج إلى النوع المبالغ فيه فإن هذا يكون مذموما، أما أصله فإنه أمر طبيعي لا ينافي الإيمان لكن المحذور هو أن يخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - فهذا الذي يوقع صاحبه في الشرك

◈ **نستفيد من الآية التي قدم بها الشيخ هذا الباب:-**

- أن الخوف عبادة؛ وما دام كذلك فيجب إخلاصه لله أن الخوف عبادة (وخافون إن كنتم مؤمنين) فهو من مادة الإيمان وحقيقته فلا يجوز صرفه لغير الله

- نستفيد أيضا أن الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك مخرج عن الملة

- وفيه أيضا وجوب الحذر من مكائد الشيطان وأن الشيطان لا يزال يفتل في الذروة والغارب ليستزل المؤمنين عن ما أوجب الله تعالى عليهم فاحذر ..

ثم ثنى بقول الله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) تتمة الآية (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم)

◇ **قوله: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) تمام هذه الآية (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) مرة أخرى:**

"إنما" أداة حصر يعمر مساجد الله، "من آمن بالله... إلى آخره" هذه هي صفات المؤمنين الخلص.

*** واعلموا أن عمارة المساجد على ضربين:- (عمارة حسية، وعمارة معنوية)**

- **فعمارتها حسيا** ببنائها بما جرت العادة به من البناء إما من اللبن والطين أو من الإسمنت والحديد بحسب اختلاف الأحوال فمن بنى لله بيتا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة فلا شك أن العمارة الحسية لبيوت الله من أعظم الفضائل ولهذا كان هذا الحديث متواترا " ومن بنى لله بيتا واقترب"

- **أما العمارة المعنوية**: فالمراد بها عمارتها بذكر الله وإقام الصلاة فإن المساجد إنما بنيت لذلك، فعمار المساجد هم:

من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله: هؤلاء هم العمار الحقيقيون ليست العمارة بسقف لبن وتشييد المباني بل العمارة الحقيقية بتحقيق الإيمان بالله وحده، وتحقيق الإيمان باليوم الآخر أي الميعاد، وإقام الصلاة لم يقل فعل الصلاة بل:

إقامتها: يعني أداؤها على وجه الإستقامة ،

وإيتاء الزكاة: التي تحصل بها زكاة النفس وطهارتها من الشح،

"ولم يخش إلا الله": وهذا هو موضع الشاهد من الآية ولم يخش إلا الله

*** وبين الخوف وبين الخشية ترادف أحيانا وفرق أحيانا:**

فقد يعبر بإحدى اللفظتين عن الأخرى فيقال الخوف والخشية والخشية هي الخوف، لكن هناك فرق بينهما عند التدقيق

- **فالخشية** خوف مقرون بالعلم بالمخشي به،
- **والخوف** قد يكون خوفا مطلقا فقد يخاف الإنسان من شيء لا يدرك كنهه خوف بشيء مجهول فيقع في نفسه خوف، أما الخشية فهي مبنية على علم بالمخشي منه ولهذا قال الله – عز وجل –: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فالعلماء خشيتهم لله أكمل من خشية غيرهم لأنهم حصل لهم من العلم بأسمائه وصفاته من نعوت الجلال، و الكمال، والهيبة ما جعلهم يخشون الله – عز وجل – خشية أحق من خشية عامة الناس،

"ولم يخش إلا الله ": إذن هذه الخشية الدالة على توحيد الله – عز وجل – وهي أكمل من الخوف

قوله: (فعسى أولئك): عسى من الله محققه لأن الرجاء من الله محققه فعسى أولئك أي المتصفون بهذه الصفات أن يكونوا من المهتدين هم الذين هداهم الله سبحانه إلى محابه، والشاهد من هذه الآية قوله (ولم يخش إلا الله)

◈ **ومناسبة الآية للباب ظاهرة**

لأن فيها وجوب إخلاص الخشية لله – عز وجل –

◈ **ونستفيد من هذه الآية الكريمة:-**

– ما أشرنا إليه من وجوب إخلاص الخشية لله فلا تخش إلا الله

– أيضا نستفيد أن الشرك مبطل للعمل فمن عمر المساجد وهو يريد بذلك الرياء لا يريد التقرب إلى الله – عز وجل – فإن عمارته الحسية للمساجد لا تنفعه فلابد من الإخلاص وذلك بتحقيق الإيمان بالله تعالى وما بعده

- وفيه بيان أحد نوعي العمارة وهي العمارة المعنوية عمارتها بالإيمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتوحيد الخشية

- وفيها الحث على عمارة المساجد

◈ **قال: وقوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) :**

"ومن الناس": من هذه التبعيضية أي بعض الناس،

"من يقول آمنا بالله": يعني يدعي بلسانه الإيمان بالله،

"فإذا أوذي في الله ": أوذي في الله بمعنى افتتن وابتلي،

"جعل فتنة الناس": أي عذاب الناس كعذاب الله جعل فتنة الناس أي أذيتهم له في نفسه وماله ومنصبه وأهله كعذاب الله يعني سوى بينهما فصار لا يتوقع عذاب الله - عز وجل - لأجل ألا يتعرض لفتنة الناس، تتمة الآية:

(ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم): يعني إن جاءت الأمور موافقة لما يشتهي وحصل مغنم فإنه أول من يتقدم ويشق الصفوف ويقول إنا كنا معكم يعني هم يريدون لعاعة من الدنيا ليقولون إنا كنا معكم أي أشروكنا معكم في المغنم، قال الله تعالى رادا عليهم:

(أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) والجواب بلى الله تعالى أعلم بما في صدور العالمين من الإيمان والنفاق، وهذا - أيها الإخوان - كان جاريا في أول الإسلام بعد الهجرة أن كان الناس يقبلون إلى المدينة يهاجرون إلى النبي ﷺ فإن رأوا شيء يعجبهم بقوا على الدين، وإن رأوا شدة وكربا ارتدوا على أدبارهم كما قال الله سبحانه وتعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على حرف يعني على طرف (فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) قال ابن عباس هو الرجل من الأعراب يهاجر إلى المدينة فإن أنتجت ناقته وولدت امرأته غلاما قال هذا دين خير وأبقاه، وإن لم تنتج ناقته ولم تلد امرأته غلاما قال هذا دين سوء ثم رجع إلى أعرابيته إلى باديته فهذا يعبد الله تعالى على حرف بخلاف المؤمنين، الواثقين، الراسخين الذين لا تزيدهم الشدة والبلاء إلا رسوخا وثباتا و كذلك ها هنا "من الناس من يقول آمنا بالله" في حال الرخاء والإقبال واليسر يقول

آمنا بالله فإذا تعرض لمسيس عذاب في نفسه أو ماله أو جاهه أو غير ذلك "جعل فتنة الناس كعذاب الله" يعني ساوى بينهما وصار خوفه من الناس كخوفه من الله - عز وجل - فوقع في شرك الخوف

◈ **فلذلك كانت هذه الآية مناسبة للباب:**

لأن الخوف من الناس أن يصيبوه وأن ينالوه بما يسوؤه بسبب إيمانه هذا نقص في الإيمان وخوف من غير الله

◈ **فنستفيد من هذه الآية:-**

- أن الخوف من أذى الناس بسبب الإيمان خوف من غير الله أن الخوف من أذى الناس بسبب الإيمان وخصال الإيمان خوف من غير الله ومن سوء هذا يا إخوان ما قد يقع من بعض الناس حينما يرى المنكر فيحجم عن إنكاره مع قدرته على إنكاره بيده أو بلسانه يخشى أما أن يؤنب أو يضرب أو نحو ذلك فمن جعل فتنة الناس كعذاب الله نال حظه من هذه الآية

- نستفيد من هذه الآية وجوب الصبر على الأذى في ذات الله؛ وقد جاء أصحاب النبي ﷺ إليه مرة يشكون ما يجدون من المشركين وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقال لهم مسليا معزيا قال إنه كان يؤتى بالرجل فيمن كان قبلكم فيجعل المنشار على رأسه فيشق نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه ما يرده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون فالله تعالى يبتلي عباده بأنواع البلاء فيصيبهم بالبلاء والشدة ليعلم سبحانه من يثبت على (ألم حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ما أسهل أن يقول إنسان بلسانه آمنا بالله (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

ولابد - أيها الإخوان - أن من يدعي الإيمان فهو عرضة للبلاء، ولا ينبغي للمؤمن أن يسأل الله البلاء بل عليه أن يسأل الله العافية لكن إذا ابتلي فعليه أن يصبر، وذلك أن النبي ﷺ كان مع أصحابه ويريدون منازلة المشركين في موطن من المواطن فغابت الشمس قبل أن يقع بينهم وبين عدوهم قتال فقال أصحابه وددنا لو أنا لقينا عدونا فقال ﷺ لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية وإذا ابتليتم فاصبروا، وكم من إنسان آنس في قلبه في لحظة نشوة شيء من القوة، و الحماس، والاندفاع فظن أنه مستعد أن يستقبل أي مصيبة وأن يتحمل أي شيء في ذات الله فما هو إلا

أن يناله طرف بسيط من الابتلاء فينهار ويخر فعلى الإنسان أن يسأل الله – عز وجل – العافية، وإذا ابتلي يسأل الله – عز وجل – الثبات ولا يعرض نفسه للفتن

– أيضا مما نستفيده من هذه الآية دناءة المنافقين وقلة مروءتهم فهم لا يستحون يقولون في حال الرخاء آمنا بالله ثم إذا جاءتهم شدة انسحبوا، وازوروا، وتراجعوا فإذا جاء نصر من الله – عز وجل – لم ينقمعوا ويستحوا أن لم يكن منهم موقف مشرف بل يأتون مسرعين يطالبون بنصيبهم كما زعموا من الغنائم فهذا يدل على دناءة في النفوس

– وفي الآية أيضا أو في تتمتها إثبات علم الله سبحانه وتعالى (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) إي والله ضع هذه الآية نصب عينيك صاحبك يجلس إلى جوارك تحدثك نفسك بأشياء كتفك إلى كتفه لا يدري ما يجول بخاطرك وما يجول بخلدك وهو إلى جوارك والله تعالى من فوق سبعة أركع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهذا يجعل العبد المؤمن يشعر برقابة الله – عز وجل – له في جميع أحواله وتقلباته ويثمر ذلك ثمرات مسلكية من الحرص على طاعة الله والانكفاف عن معصيته

- **ثم قال وعن أبي سعيد مرفوعا: "إن من ضعف اليقين"**

ضعف: تصح بالفتح وتصح أيضا بالضم ضعف اليقين والمراد بالضعف أو الضعف ما ضد القوة و الصحة،

"واليقين": ضد الشرك وهو أعلى مراتب التصديق

أن ترضي الناس بسخط الله: سبحان الله ترضي الناس بسخط الله أي تتقرب إليهم بما يرضيهم ولكنه يسخط الله – عز وجل – وهذا كثير يقع من بعض الناس أن يحاولوا إدخال السرور على محدثيهم بأمر يسخط الله كان يأتي بالمزاح الكاذب أو يأتي بالنميمة التي تسر محدثه فهو يرضي الناس بسخط الله – عز وجل –،

وأن تحمدهم على رزق الله: يعني تشكرهم على رزق الله المنعم الحق هو الله – عز وجل – فكأن يقع من بعض الناس أن يثني بالنعمة على الإنسان وينسى المنعم الحقيقي وهو الله

وهذا لا ينافي أن يشكر العبد الناس فإنه قد جاء في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال ربنا (وقولوا للناس حسنا)، وقال نبيه ﷺ (من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا أن تكافئوه فادعوا له حتى تظنوا أنكم قد كافأتموه)، إنما المقصود بهذه العبارة:

وان تحمده على رزق الله يعني أن يكون في قلبك وما يجري على لسانك من الثناء وإسناد النعمة إلى الآدمي ونسيان المنعم وهو الله - عز وجل -

والواجب على الإنسان أن يعتقد بقلبه أن المنعم الأول والمتفضل هو الله سبحانه وتعالى وأن هذا الآدمي جعله سببا لجريان نعمته عليه فيشكر هذا الذي صنع إليه معروفا ويدعو له ويشكر الله تعالى وحينئذ لا تتعارض الأدلة، وإنما تتعارض حينما يزجي المديح والثناء لهذا الإنسان الذي لا يعدو أن يكون سببا وينسي الله تعالى كاد يكثر على ألسنة الشعراء، والمداحين وغير ذلك فعلى الإنسان أن يضبط عباراته وأن يتعهد قلبه في مثل هذه المواقف

الخصلة الثالثة "وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله" إي والله وهذا كثير يعني يقع من كثير من الناس تغيظ وتبرم حين يفوتهم شيء من الدنيا ويقول كله بسبب فلان قطع رزقي وفعل كذا وكذا ويصب جام غضبه وعتبهم على من حوله والواقع

- أيها الإخوان - أيضا أن هذا ناتج عن ضعف اليقين لأن من علم بأن كل شيء بيد الله وأنه هو المعطي، وهو المانع، وهو القابض، وهو الباسط علم أن هؤلاء لا يملكون من أمر الله شيء وأن الأمر لا يستوجب إن يذمهم على شيء منعه الله تعالى إياه، وخذوا مثالا بسيطا يجري في حياتنا اليومية حينما يتلوم الإنسان على أهله أو إخوانه أو أصحابه لم لم تفعل كذا لم فعلت كذا ويعاتبهم عليه الحقيقة أن هذا لا يورثه إلا مزيد حزن ولا يرد مفقودا ولا يوجد معدوما نحن نورثه مزيد الحزن ومن تأمل في سيرة النبي ﷺ وشمائله الطاهرة وجد أنه نقي من هذا الخلق أي العتب يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي يوما قط لم فعلت كذا أو لم لم تفعل كذا)) يا سبحان الله من يطيق أن يكون أحدا تحت ولايته ومر عليه عشر سنين لا يعاتبه مرة واحدة، قال أنس: ((وكان إذا سمع أهله يعتبون علي في شيء قال دعوه لو قدر))

- أيها الإخوان والأخوات- أن الإنسان لو أخذ نفسه بهذا الخلق الرفيع لحقق سعادة لا توصف إذ أن معظم شقاء الناس ومشاكلهم وشجارهم إنما يأتي من باب العتب من باب التلوم فإذا علم الإنسان أنه لا وجه أن يذم غيره على أمر لم يؤته الله إياه طابت نفسه وقرت عينه وسلم مخالفوه فهذه أخلاق رفيعة عالية ينبغي للمسلم أن يتخلق بها

ثم قال: " إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره" إي والله هاتان الجملتان يدلان على الإيمان بالقدر وهنا لا تلغيان فعل الأسباب لكنهما تقمعان النفس إلى التعلق بالأسباب الظاهرة ونسيان مسبب

الأسباب يقول "إن رزق الله لا يجره حرص حريص" ليس في هذا إلغاء من السعي وطلب الرزق لكن إعلام بأن الرزق لا يأتي بالقصر والقوة بل هو محض فضل الله – عز وجل – يجريه على ما شاء من عباده

فلهذا فاضل الله تعالى بين عباده فقال: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فتجد الإنسان الذكي الألمعي وليس في يديه شيء وتجد الإنسان الغبي الأخرق الذي لا يحسن شيء وفي يده المال الكثير كل هذا موجود كله ليعلم الناس أن الأمر بيد الله – عز وجل –،

<u>**وأن رزق الله لايجره حرص حريص:**</u> ومرة أخري ليس المراد بهذا إلغاء الأسباب فقد قال لنا نبينا ﷺ "احرص على ما ينفعك" فلا يحرص الإنسان على ما له فيه نفع دنيوي وديني لكن لا يعتقد أن السبب المستقل بتحصيل الرزق ومقابل هذا أيضا ولا يرده كراهية كاره فرزق الله – عز وجل – المقسوم لك سيأتيك حتى مثلا لو دفعت ذلك أو ترده فإنما قسم الله تعالى لك فهو حاصل،

يقول نبينا ﷺ: "إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب".

ما أحوج طلاب الدنيا إلى هذه الجملة اتقوا الله وأجملوا في الطلب إنها درسا على النفوس المشرئبة المتشوفة إلى متاع الحياة الدنيا يقال له اتق الله وأجمل في الطلب لا يقال له لا تطلب رزقك لكن أجمل في الطلب فلا تذهب نفسك حسرات،

وكم من أناس أصيبوا بالنكسات النفسية والعلل الباطنية بسبب فوات أمر دنيوي كما ترى بمجتمعنا قبل سُنيات قريبة لما وقع انهيار في سوق الأسهم جرى لكثير منهم بعضهم من أصابته جلطة، ومنهم من أصابته حالة نفسية، ومنهم من أصابه اكتئاب كل ذلك لأن النفس مجتمعة على هذا الأمر الدنيوي،

أما لو علم العبد بأن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره وأن الواجب عليه أن يتقي الله وأن يجمل في الطلب لكانت النفس مستعدة لتلقي ما يقع عليها فنسأل الله – عز وجل – أن يرزقنا وإياكم اليقين

◈ <u>**فهذا الحديث مناسب للباب:**</u>

لأن فيه تعلق القلب بالله سبحانه وتعالى، وأن يعتمد في جلب النفع ودفع الضر عليه وألا يلتفت إلى المخلوقين

◈ **نستفيد منه:-**

- أن الإيمان يتفاضل يزيد وينقص من أين ذلك؟ من قوله: "إن من ضعف اليقين" إذن اليقين الذي هو الإيمان يكون ضعيفا ويكون قويا وأهله الذين هم المؤمنون يتفاضلون فبعضهم أعلى من بعض في هذا السلم

- نستفيد أيضا وجوب التوكل على الله سبحانه وتعالى

- ونستفيد أيضا ذم من طلب رضا الناس بسخط الله، وشؤم عاقبته، وذم من شكر الناس على رزق الله

- ونستفيد أيضا عدم الاعتماد على الأسباب فقط

◈ **قال وعن عائشة - رضي الله عنها -أن رسول الله ﷺ قال: ((من التمس رضا الله بسخط الناس - رضي الله عنه - وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)). رواه ابن حبان في صحيحه**

لهذا الحديث قصة وهو أن معاوية - رضي الله عنه - لما ولي كتب إلى أم المؤمنين عائشة أن اكتبي إلي وأوصيني ولا تكثري فكتبت إليه - رضي الله عنها -بهذه الكلمات وهي كلمات نورانية يحتاج إليها من ولي الولاية بالدرجة الأولى، قال: "من التمس رضا الله بسخط الناس - رضي الله عنه - وأرضى عنه الناس" والمقصود بقوله:

من التمس: يعني من طلب فمن حرص على تحقيق رضا الله - عز وجل - وإن سخط عليه الناس جعل الله العاقبة له وحصل له مراده الذي قصده وهو رضا الله، وحصل له رضا الناس في المآل والعاقبة، وضد ذلك:

"من التمس رضا الناس بسخط الله" أي تقرب إلى الناس بما يعجبهم حين يسخط الله تعالى فإن الله يسخط عليه ويسخط عليه الناس،

والحقيقة - أيها الإخوان - أن هذا أمر مجرب مشهود كم من إنسان قام لله قومة صادقة وصاح به من حوله وأنبوه ولاموه وزجروه فلم يعبأ بهم ولم يلتفت إلى ذمهم وتقريعهم وما زال أمارا بالمعروف نهاءا عن المنكر داعيا إلى الله - عز وجل - فما هي إلا سوى أيام أو دون ذلك حتى صرف الله إليه قلوب الناس لأنهم علم صدقه وأنه لا يبغي من وراء ذلك حظ نفسه ولا دنيا يصيبها فانقلب سخطهم عليه رضا، والعكس أيضا كم من إنسان بذل دينه وعرضه ومروءته ليرضي الناس فربما سمع منهم ثناء بادئ الأمر وأعجبهم حاله لكن ما هي إلا سنيات أيام حتى تكشف لهم أمره وعدوا ذامين له فالله الله يا طالب العلم اجعل الله تعالى نصب عينيك في كل ما تأتي وما تدع،

يقال إن الإمام أحمد – رحمه الله – أفتى في مسألة فقيل له إن أخاك اسحق بن راهويه يقول بمثل قولك فقال سبحان الله ما ظننت أن أحدا يقول بقولي أرأيتم لم يلتفت إلى قلة السالك، لم يستوحش من قلة السالك، لم يقل ها معي أحد على هذا القول هل فيه أصوات تؤيد قولي لا لا يرى ما الذي يجب عليه شرعا، ما الذي يبرؤه عند الله – عز وجل –، ما الذي يجيره من دون الله سبحانه وتعالى حين يسائله فهذه هي الحسابات الحقيقية وهي حسابات ناجحة موفقة في الدنيا والآخرة لكن تحتاج إلى يقين تحتاج إلى ثبات وصبر واعتصام بالكتاب والسنة فيحمد العاقبة دنيا وأخرى وتأملوا في سير السابقين تجدوا أمثلة واضحة على هذا المعنى

- **فمناسبته للباب:**

وجوب تقديم خشية الله تعالى على كل شيء

- **ونستفيد منه:–**

– أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن طلب رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس والعكس أيضا الجزاء من جنس العمل

– نستفيد أيضا أن قلوب العباد بيد الله؛ من الذي يرضي ويسخط من الذي يصرف القلوب إلا الله سبحانه وبحمده فثق تماما بالله تعالى و علق قلبك بالتوكل عليه

- **ولنستمع إلى مسائل الباب.............**

فيه مسائل :

– الأولى : تفسير آية آل عمران .

[الشرح]: نعم وهي قول الله تعالى: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) وتأملوا مناسبتها لما قبلها فإن الناس أرهبوا رسول الله ﷺ والصحابة يوم أحد وقالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لكن فزادهم إيمانا فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فينبغي لنا – أيها الإخوان – إذا وقعت في نفوسنا شيء من هذا أن نقول ما قال أسلافنا حسبنا الله ونعم الوكيل يعني الله كافينا وهو نعم من يعتمد عليه

– الثانية: تفسير آية براءة.

[الشرح]: وهي قول الله – عز وجل –: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله) والشاهد منها قوله ولم يخش إلا الله

– الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

[الشرح]: وهي قول الله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) فهذا صنف جاري في بني آدم فينافي ذلك إفراد الله – عز وجل – بالخوف

– الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

[الشرح]: لقوله إن من ضعف اليقين فاليقين يضعف ويقوى وهذا أمر تجدونه في أنفسكم يمر بالمؤمن أوقات يشعر بقوة يقينه بالله – عز وجل – حينما تتوالى مؤثرات ومقويات الإيمان، ويأتي عليه الحال يصيبه الوهن إما بسبب المعاصي أو الغفلات أو ما أشبه ذلك

– الخامسة: علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث.

[الشرح]: نعم علامة ضعفه وهي الخصال الثلاثة أن يرضي الناس بسخط الله وأن يحمدهم على رزق الله وأن يذمهم على ما لم يؤته الله فإن هذا دليل على ضعف اليقين

– السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

[الشرح]: مرتبط بالآية قبلها (ولم يخش إلا الله) فهذا من الواجبات، وأيضا ما جاء في حديث أبي سعيد وفي حديث عائشة رضي الله عنها

– السابعة: ذكر ثواب من فعله.

[الشرح]: يثاب من فعله أن الله يجعل العاقبة له فيرضي عنه الناس ويَرضى عنه

– الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

[الشرح]: عقاب من تركه أن يسخط عليه الناس وأن يسخط عليه، **والله أعلم، وصلي الله علي نبينا محمد؛؛**